

كتلة من الزندقة

يلصقها مجهولون بنصير القرآن والسنة العالم الرباني

الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله روحه

الإمام الشهيد محمد سعيد رمضان البوطي

زنادقة هذا العصر، والعصور الغابرة، يعلمون أن التصوف الأخرق الدخيل على العقيدة الإسلامية وأحكام الشريعة الإسلامية، هو السلاح الأمضى لاختراق حصن القرآن والسنة، اللذين إليهما يعود حماية دين الله عز وجل من الزيف والدجل والدخيل.

ويعلم زنادقة هذا العصر والعصور السابقة أن العالم الرباني الجليل الذي شهد باستقامته على الحق وحراسته لدين الله من أفانين المخزقة والبدع، والعمل على تطهير القلب من رعونات النفس وأهوائها. ثم جعله وعاء لحقائق الشرع وأحكامه، وتنقية التصوف من الزيف والبدع والشطط والأوهام والمخزقات التي ألصقت به، هو ذاك الذي أجمع العالم الإسلامي على غزارة علمه وشهد باستقامته على الحق، وإخضاع ما استبطن من الحقائق لما تجلّى وظهر من الشرائع، وإخضاعهما معاً لكتاب الله وسنة رسوله، وهو الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله روحه.

علم الزنادقة المفتونون بنشر زندقته، هذا.. فلم يجدوا سبيلاً لنشرها وإدخالها في قناعات الناس، أقصر ولا أيسر من لصقها بسيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني، من خلال مؤلف يختلقونه في علم من أهم العلوم الإسلامية، ثم ينسبونه زوراً وبهتاناً إلى هذا العالم الرباني الذي وثق بعلمه واستقامته علماء الأجيال على اختلاف مشاربهم وبقاعهم ومذاهبهم. ظناً منهم أن هذا الكيد سيبلغ مداه المأمول لديهم، فتلقى زندقته وأفكارهم الكفرية القبول لدي محبي الشيخ والواقفين بعلمه وإخلاصه واستقامته،.. فكان الموضوع الذي وقعوا على اختياره تفسير القرآن، وكان الكتاب الذي أخرجوه مخللاً لزندقته هو ما سموه بـ (تفسير الجيلاني)، وأخرجوه للناس بأبهى مظهر، وراحوا ينشرونه على أنه من أهم مؤلفات الشيخ عبد القادر الجيلاني. وما علموا أن ما يعرفه القاضي والداني من ترجمة الشيخ قدس الله روحه (تمسكاً بأهداب الكتاب والسنة، وحرماً لا

تني ولا هواده فيها لكل أشكال البدع) سيمزق هذا الكيد شرّ ممزق، ولسوف يعرّي هذه الجريمة الرخيصة النكراء.

وإليك خلاصة سريعة لترجمة الشيخ قدس الله روحه، (من الجانب الذي نحن بصدده) بين يدي تعرية هذه الجريمة الشنعاء التي انحطت إليها رعونات أصحاب الأهواء ودعاة الدجل والبهتان.

ولد الشيخ 470 للهجرة في جيلان من بلاد فارس. قرأ العلوم الإسلامية كلها على الشيخ الموثوقين الكبار، وعني -بعد أن أتم دراسته العلمية- بالتربية والإصلاح وإرشاد الخلق إلى الحق، وعرف بالتواضع الجم وسكونه إلى الفقراء والمعوزين والضعفاء يخدمهم ويرعى شؤونهم.. أخذ يجمع بين تربية النفوس، ونشر العلم ونصر السنة والعقيدة الصحيحة ومحاربة البدع.. وقد كان متبعاً لمذهب الإمام أحمد بن حنبل، ومذهب المحدثين والسلف- وكان يفتي على مذهب الإمام أحمد وغيره.. وقف حياته على إخضاع الطريقة للشريعة. كان يقول لأصحابه مكرراً "اتبعوا ولا تبتدعوا وأطيعوا ولا تخالفوا" ويقول "إن انخرم فيك شيء من الحدود فاعلم أنك مفتون، قد لعب بك الشيطان، فارجع إلى حكم الشرع والزمه، ودع عنك الهوى لأن كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي باطلة" وكان يقول حاثاً على التمسك بالكتاب والسنة: (كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة. طر إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة، أدخل عليه ويدك في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، اجعله وزيرك ومعلمك)¹ وكان بليغاً في بيانه، فصيحاً في لسانه، ضليعاً في علوم العربية وآدابها.

والآن، سأضعك أمام نماذج لهرطقة هذه الزندقة التي ألصقتها أيد خفية في الظلام بنصير الكتاب والسنة، سيد من أخضع بواطن الشريعة لظاهرها، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولن نحتاج إلى تبين هذا الزيف وجريمة الكذب على هذا العالم الرباني الجليل، إلى أكثر من وضع هذه النماذج تحت ناظريك، فإن ما قد علمته الآن من ترجمة الشيخ تبرّئه من كل ما ستراه من أعاجيب الأكاذيب على الله.

¹ أنظر الفتح الرباني. المجلس الرابع والأربعون، والطبقات الكبرى للشعراني ص 126 ورجال الفكر والدعوة في الإسلام لأبي

الحسن الندوي في ترجمته للشيخ عبد القادر الجيلاني

لا حاجة إلى أن أضعك أمام المفات لا العشرات من السقطات والترهات وعقائد الزندقة، التي حشي بها هذا الكتاب. فلا أنت بحاجة إلى ذلك، ولا وقتي ووقتك يتسع لذلك، وحسبك لتعلم قيمة الزيت أن ترى الدردي في أعلاه.

1- يقول في تفسير الجنة من قوله تعالى ((وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ..)) [هي منتزها من العلم والعين والحق التي هي المعارف الكلية المخلصة عن جميع القيود المنافية للتوحيد] ويقول في تفسير الأنهار الواردة في الآية [هي أنهار المعارف الجزئية المترتبة على تلك المعارف الكلية] ويقول عن الأزواج المطهرة الواردة في الآية ذاتها [هي أعمال صالحة ونيات خاصة "مطهرة" أي عن شوائب الأغبار المانعة عن الوصول إلى دار القرار] ص 56 و 57 ج 1.

وهو يكرر هذا التأويل للجنة وما فيها، كلما ورد ذكر الجنة في القرآن فهو يقول في تفسيرها في قوله تعالى ((وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا)): [جنات: أي منتزها من العلم والعين والحق تجري من تحتها الأنهار: أنهار اللذات الروحانية المترتبة على التجليات الرحمانية.. لهم فيها أزواج: أي صواحب من الصفات والأسماء يؤانسهم] ص 405 ج 1 وهذا شأنه كلما ورد ذكر الجنة وما فيها، إنكار لها وتأويل بل إبطال لمضامينها. أنظر مثلاً ص 277 ج 2 / ص 286 ج 2 / ص 293 ج 2 / ص 318 ج 2 / ص 509 ج 2.

2- يقول في تأويل جهنم كالذي يقوله في تأويل الجنة من الإنكار لها وتأويلها بالطرد والخذلان، ومن جرّ للكلمة إلى معنى أو معان لا تمت إلى الكلمة بأي صلة. يقول في تفسير قوله تعالى: ((فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) [أي نار البعد والخذلان] ص 93 ج 1 ويقول في تفسير العذاب في قوله تعالى ((أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)) ((فَذُوقُوا الْعَذَابَ)) أي الطرد والحرمان] ص 309 ج 1 ويقول ((وَمَأْوَاهُمْ)) أي مرجعهم ومنقلبهم في النشأة الأخرى ((جَهَنَّمَ)) أي الطرد والخذلان] ص 290 ج 2 ويقول ((ثُمَّ يُرْدُونَ)) بعد انقضاء النشأة الأولى ((إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ)) هو حرمانهم وانحطاطهم عن المرتبة الكاملة الإنسانية التي هي مرتبة الخلافة] ص 293 ج 2 ويقول في تفسيره للعذاب العظيم في قوله تعالى ((حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى

قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) [هو عذاب الطرد والبعد، إذ لا عذاب أعظم منه، أولئك الأشقياء البعداء عن ساحة الحضور، هم الضالون في تيه الحرمان، الباقون في ظلمة الإمكان] ص 47 ج 1 أرأيت إلى هذه المرطقة التي تفوح منها رائحة الباطنية المتزندقة.

3- وإليك الآن طائفة من التأويلات التي يقصد منها تميع حقائق القرآن ونصوصه ودلالاته القاطعة لرجّ القارئ في متاهات من الكفران والزندقة:

- يقول في تفسير قوله تعالى ((خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)) [هي المرتبة الفعالة المحيطة بجميع المراتب الكونية والكيانية، وهي المرتبة الجامعة المحمدية المسماة بالعقل الكلي والقلم الأعلى] ص 363 ج 1

- ألصق الباطني بقول الله تعالى ((مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً)) أوهاماً من الترهات التي تبصق عليها العقول وتشمئز منها الأذواق، فقال [أي منذا الذي يفوض ويسلم هوية الإمكان وماهية الكوني والكياني إلى الله المقسط للهويات مطلقاً، تفويضاً سلسلاً نشطاً فرحاناً بلا مضايقة ولا بماطلة] ص 206 ج 1
- وانظر في هذا التأويل لكل من كلمتي عرضها والأرض من قوله تعالى ((وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ)) يقول [أي الأسماء والصفات الإلهية القائمة بذات الله والأرض أي طبيعة العدم المقابل لانعكاس أشعة تلك الأسماء والصفات] ص 322 ج 1
- أما كلمة ((الْمُلْكُ)) في قوله تعالى ((تُنزِّلُ الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ)) فمعناه فيما يقول [التوحيد الذاتي] ومعنى ((مَنْ تَشَاءُ)) [من خواص مظاهر صفاتك وأسمائك]

4- أما مظاهر جهالة هذا الزنديق المفترى وركنته في التعبير وأخطائه في الصياغة، فكثيرة لا مجال ولا خير في استقصائها. يقول الجاهل في تفسير قوله تعالى ((إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ)) [وأفضل الوصية وأولاها الوصية للوالدين والأقربين] دون أن يعلم أن الوصية للورثة منسوخة كما يقول كل المفسرين عند هذه الآية. ص 156 ج 1

- ويقول في الصفحة 167 من الجزء الأول [وبعدما قاتل المشركون مع المؤمنين عام الحديبية في ذي القعدة..] دون أن يعلم ما لا يخفى على أي بصير بسيرة رسول الله أن

عام الحديبية هذا لم يشهد أي حرب بين من المسلمين والمشركين وإنما شهد الصلح الذي كان مقدمة للفتح، وانظر ركة التعبير في قوله ((قاتل المشركون مع المؤمنين))

• يؤكد ويكرر أن الأديان التي بعث بها الرسل والأنبياء متعددة كما يظن العوام، وكأنه لم يقرأ قوله تعالى ((إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)) وقوله تعالى ((شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ..)) الشورى 13

• يفسر الجاهل ((الصَّيْبِ)) من قوله تعالى ((أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ)) فيقول [أي نازل] والصَّيْبُ هو السحاب وهو الشيء الذي يصيب. ص 52 ج 1

• وانظر إلى هذه الركة التي تبرأ منها البلاغة العليا والفصاحة التامة اللتين أوتيتهما سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني يقول في تفسيره لقوله تعالى ((وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ)) ((و)) عند عروجها ((إِيَّايَ)) لا إلى غيري ((فَارْهَبُونِ)) فارجعون لأوانس معكم وأزبل رهبتكم] ص 70 ج 1

• وانظر إلى هذه الصياغة في قوله وهو يفسر قوله تعالى ((بِمَا رَحَّبْتَ)) [أي مع وسعتها، فلم تجدوا فيها مقرراً تمكثون عليها من غاية رهبتكم] ص 249 ج 2

• ويقول في ص 212 ج 2 في تفسير قوله تعالى ((إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا)) [أي على شفير الوادي التي هي أقرب للمدينة ولا ماء فيها، وربما تسوخ أرجلكم وأنتم راحلون] • ويقول في تفسير ((إِلَّا أَصَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)) [أي يسطرونها لتضليل ضعفاء العوام].

5- وأما الآيات التي يقحم فيها عقيدة وحدة الوجود الحلولية التي كان يحذر سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني منها أي تحذير، فكثيرة جداً. منها قوله في تفسير قوله تعالى ((لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ)) [أي المتوجهون نحو توحيد الذات الطالبون إفتاء ذواتهم في ذات الله، ليخوضوا لبحر التوحيد] ص 263 ج 1

6- ومن أخطر ما تضمنته هذه الزندقة التي جُمعت في كتاب، الافتئات على كثير ممن شهدت لهم القرون بالاستقامة على الحق ومجانبة البدع، منهم الجنيد البغدادي الذي يفتئت عليه ويلصق به هذا الكلام الباطل الذي يبرأ منه الجنيد [لو أن ما لا يتناهى وجوده قدر انتهاء وجوده مع العين

الموجدة له في زاوية من زوايا قلب العارف، ما أحس بذلك في علمه] أستغفر الله من كتابة هذا اللغو.

7- ثم إني لأعجب من هذا الذي أقام من نفسه محققاً لهذا الكتاب، كيف لم ينتبه (أثناء تحقيقه) إلى الطامات التي حُشي بها هذا الكتاب مما لم أذكر إلا نماذج يسيرة منه، ليعلم أن هذا الكتاب لا يمكن أن تخطّه يد مسلم فضلاً عن أن ينسب إلى سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني!!..

ثم ما قيمة المخطوط الذي وثق به تحقيقه هذا، ومن المعلوم لدى كل من له دراية بتاريخ الخطوط وتطوراتها، أن هذا المخطوط الذي يعتمد لا يعود إلى أكثر من مائة وخمسين عاماً. إن نوع الخط فارسي حديث، والنظام الفارسي في تاريخ الخطوط ليس له من العمر أكثر من القدر الذي ذكرت. فما قيمة هذا المخطوط إذن بالنسبة لتاريخ قصي هو القرن الخامس الهجري؟ وهلا رجع هذا المحقق إلى كتب التراجم والبيلوغرافيا من أمثال كشف الظنون للحاجي خليفه، ليعلم أن الجيلاني قدس الله روحه لم يترك وراءه أي مؤلف في التفسير، وأن هذا الذي أتعب نفسه في إخراجه، إنما هو لبعض الباطنيين الزنادقة، وليس لنصير الكتاب والسنة الوقاف في وجه البدع، سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله روحه.

بقي أن عليّ أن أحمد الله عز وجل أن وفقني للكشف عن هذا الزيف، الذي سعى من سعى لإلصاقه بهذا العالم الرباني المجدد العظيم الذي له أيادٍ كثيرة في عنقي منذ صدر حياتي، والذي غرس الله في قلبي حبه وتعظيمه.

فأسألك اللهم القبول، وأسألك اللهم أن تقبلها صفحات من العيرة والحب أهديها إلى مقام صاحب الفضل (بعد الله) في حمايتي من نفسي وأعدائي وردّ غائلة السوء عني، سيدي العارف بالله حقاً، والمدافع عن شريعة الله صدقاً، الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله روحه. والحمد لله رب العالمين.

محمد سعيد رمضان البوطي